175530 ـ من مات من أهل الكتاب على ما هو عليه دون أن يؤمن بالله ورسله دخل النار

السؤال

ما تفسير هذه الآيات من سورة آل عمران : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) ؟ وهل من أهل الكتاب الذين يعيشون في هذه الأيام من يدخل الجنة لو مات على ما هو عليه ؟ وما هي صفاتهم إن وجدوا ؟ وهل نعتبرهم كفاراً أم لا ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم كافة للناس بشيرا ونذيرا ، فمن آمن به وأطاعه أدخله الله الجنة ، ومن كذب به وعصاه أدخله الله النار ، لا فرق في ذلك بين اليهودي والنصراني وغيرهما .

قال الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران/ 19 .

وقال سبحانه : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/ 85 .

وقال عز وجل : (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) آل عمران/ 110 .

وقال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) المائدة/ 19 .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ظاهرة .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم (153) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

" إن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام " انتهى من "مجموع الفتاوى" (35 / 201) .

ثانيا :

معنى قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ...) الآيات ، أي : ليس أهل الكتاب متساوين ، بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن برسل الله كلهم ، ويؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي بشرت به التوراة وبشر به الإنجيل ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع في الخيرات ، فهؤلاء من الصالحين وهم مع المؤمنين ، بخلاف من لم يصدق الرسول منهم فيما جاء به من ربه ، فليس هؤلاء كأولئك .

قال ابن كثير رحمه الله :

" والمشهور عند كثير من المفسرين ـ كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس ـ أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وغيرهم ، أي : لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ، ولهذا قال تعالى : (ليسوا سواء) أي : ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى : (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي : قائمة بأمر الله ، مطيعة لشرعه متبعة نبي الله ، فهي قائمة يعني مستقيمة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) أي : يقومون الليل ، ويكثرون التهجد ، ويتلون القرآن في صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) آل عمران/199 ، وهكذا قال هاهنا : (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي : لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء ، (والله عليم بالمتقين) أي : لا يخفى عليه عمل عامل ، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا " انتهى من "تفسير ابن كثير" (2 /105) .

وينظر جواب السؤال رقم : (141875) .